الطَّلاقَة التَّعبيرية لدَى الأطفال ونماذج تقويتها

دراسَة تحليليَّة

د. مفتاح محمد عبد الرحمن الشكري
أستاذ مشارك، كلية التربية، جامعة المرقب
mmshukre@elmergib.edu.ly

د. محمد عبد السلام محمد اسويسي
أستاذ بكلية الآداب، جامعة المرقب
msswisi@elmergib.edu.ly

ملخص:

تُعدُّ الطلاقةُ التَّعبيرية من المهارات التي ينبغي أن يهتمَّ بها كلّ الـمعنيين بتعليمِ الطفلِ؛ لأنها تنمو من خلالِ الاهتمامِ باللغةِ والتَّفكيرِ على حدٍّ سـواء، وقد سـعى هذا البحث إلى التعرف على جوانب الطلاقة التعبيرية التي ينبغي الاهتمام بها في مراحل النمو اللغوي لدى الأطفال، وعلى الأنشـطة التي تدعم نموها والارتقاء بها، كالقصـصِ، وألعاب الكرتون، والدّمَى، والفضـائيات، وأنشـطة المسـرح، وأثرها في تطوير القدرات اللغوية.

ولعلَّ التبرير الـــمُهم لطرحِ هذا الموضوع هو ما يُلحَظُ من ممارساتٍ خاطئة في أساليبِ التربية، وخاصة في عصرِ التقنية وانتشارِ الألعاب الإلكترونية التي قد تُعيق نموَّ اللغةِ، وتُعرقل تطورها، وقد تعمل على إعاقة بعض مظاهر النمو الأخرى، ممَّا قد يؤدي إلى خللٍ في الارتقاءِ ببعضِ مُستويات التَّعلم والتفكير، وعدم تبلورها بشكلٍ منتظم.

وتمَّ الاتِّكاء في هذا البحث على المنهج التحليلي الاســـتقرائي، الذي تبيَّنَ من خلالِه أنَّ الارتقاء بهذه المهارة يتطلب تقبّل أفْكارِ الطِّفْل ومفاهيمه جميعَها ولو كانت مُتشـــابهة، مع حثِّهِ على التفكيرِ في أمورٍ أخرى متنوِّعة ومختلفة من حيث الكَيف، فيتعلم الطفل بذلك مرونةَ التفكيرِ، ثمَّ الانتقال به إلى التركيز على الأفكار الجَديدة والنَّادرة، الَّتي لا يصِـــل إليْها العقل بســـهولة، وهو ما يُســـمَّى بالأصـالةِ، وتمَّ التوصـل كذلك إلى أن قصـصَ الخيال تُعدُّ وسـيلةً مُهمَّة لنموِّ طلاقةِ الطفل التعبيرية، ولها أهمية بالغة في الارتقاء بقدراته العقلية، ويتمُّ ذلكَ بانتقاءِ القصـص التي تجعلُ العقلَ ينشـط ويفكر ويتابع ويشـارك في اقتراح الحلول لما يُعرَضُ عليه من مواقف، وأنَّ أفلامَ الكرتون والبرامج الفضائية وأنشطة الـــمسرح الـــمنتقاة بشكلٍ جيِّد تُفيدُ في تصحيحِ نُطْقِ الطفل للكلماتِ، وتُساعد في تقويمِ لســانِه، واســتخدامِه الألفاظَ حســب مدلولاتها، ومعرفة الســياق الذي ينبغي ذكرُها فيهِ، منْ خلال مواقف ينبغي أنْ تُعدَّ لهذا الغرض، وأوصَى البحث بضـرورةِ توعيةِ القائمين على تربية الطفل بأهمية هذه القُدرة وسُبل تنميتِها، ودورها في مسـاعدةِ الطفلِ على فهمِ الواقع المحيطِ به، والتَّغلب على التحدياتِ التي قد تُواجهُه في مختلفِ مجالات الحياة.

مدخل إلى مشكلة البحث:

في الوقتِ الذي يشهدُ فيه المناخ التربويُّ ازدهارًا قويًّا في مجالِ الاهتمام بموضوع الإبداع على مستويات واسعة الانتشارِ، فإنَّ بعضَ الدولِ العربية لا تزال تُحاولُ النهوضَ بهذا الجانبِ العقليِّ المميز؛ وذلك لإدراكِ حقيقةِ دورِهِ في التَّقدُّمِ والارتقاءِ بمختلفِ مجالاتِ الحياة، وسبُلِ التَّغلُّبِ على مَا يعترضُها منْ عقباتٍ.

ولعلَّ ما نُشاهدُه منْ تعقُّدٍ لمسيرةِ الحياةِ في المجتمع الـــمُعاصِر يُبرِزُ الحاجةَ الضرورية إلى الاهتمام بالوصولِ إلى أفكار جديدة، وحلول قابلةٍ للتَّطبيق والتوظيف في مواجهةِ التَّحديات المُتراكمةِ التي تُعرقِلُ مسيرةَ الحياةِ، وتُعيقُ تقدمها.

وفي هذا المجال أُجريتْ بعضُ الدراساتِ عن ذلك، نذكر منها: دراسة الأمين (2020)، ودراسة بن يونس (2018) اللتان ركَّزتا على مُتغيِّرِ الطَّلاقةِ التعبيريةِ باعتبارِه أحَد أهمِّ مُكوناتِ المجال الـــمعرفيِّ للطفلِ، وعلى علاقَةٍ وطيدةٍ بنموِّ التَّفكيرِ الإبداعيِّ، ويُسهمُ في الارتقاءِ بمستوى طلاقةِ الأفْكارِ، ويُتيحُ الفرصَ للمُقارنةِ، وإنتاج العلاقاتِ بينَ الـــمُفردات اللغويةِ، وتوظِيفِها في صياغةِ أفكارٍ جديدةٍ تُعبِّرُ عمَّا يجولُ في خاطِره.

وبما أنَّ اللغةَ منْ أهمِّ المهارات التي تستحقُّ الاهتمامَ منْ قِبَلِ الـــمعنيين بتعليمِها، والاستماعَ وسيلة لتحقيقِ الفهمِ، فإنَّ الكلامَ وسيلةٌ للإفهامِ. والفهمُ والإفهامُ هما طرفَا عملية الاتِّصال، ويُساعدان المتعلمَ على ممارسةِ عملياتِ التفكير بأنواعِه وأنماطِه وعملياتِه المختلفة، والطلاقةُ التعبيريةُ هي التي تُشجعُ الطفلَ على إثارةِ ما لديْه منْ أفكارٍ، وتُطلقُ حريتَهُ في التَّفكير والبناء على أفكار الآخرين، ولذلك تَظهرُ الطلاقةُ التعبيرية في حديثِه، وفي كتابتِه، وأنشطتِه المختلفة، كالرسم واللعب وأنشطة الفن والمسرح وغيرها.

الطلاقةُ التعبيريةُ لا تتطوَّرُ إلاَّ في بيئةٍ اجتماعيةٍ تتوفرُ فيها عوامل محددةٍ، تُحرِّكُ دوافعَ الطفل، وتُوفر له فرصَ التعبير عن أفكاره، من خلالِ الـمُشاركةِ الإيجابيةِ في صنعِ الحياةِ منْ حولِه، وذلك من خلالِ ما يحدث منْ أثرٍ فيمن حولَه، فالأصواتُ التي يُصدِرها لحظةَ الميلادِ تتحوَّلُ – منْ خلالِ المحيطين بِه – إلى كلماتٍ، وتصبحُ أكثر وضوحًا، بما يمكِّنُه مُستقبلًا منِ اسْتخدامِها في تصنيفِ الأشياء، ويصبح قادرًا على ربطِها بالمواقف التي تُناسِبها.

وفي هذا السياق أوضَح (العِيسويُّ) أنَّ الطلاقةَ التعبيريَّةَ منَ المهارات التي ينبغي أنْ يهتمَّ بها كل المعنيين بتعليمِ الطفل؛ لأنها تُعدُّ هدفًا أساسًا في جميعِ مراحِل التعليم، وتنمو في المراحل الأولى من حياة الطفل، منْ خلالِ الاهتمام باللغةِ والتفكير على حدٍّ سواء، وهي منْ بينِ أهمِّ الأهداف التي يجب أنْ يتبنَّاها كلّ الـمُهتمين بالطفلِ وسلوكِه؛ ويحرصون على توظيفها في تمكينِ الأطفال من ممارسةِ قدرات التفكير، وتقييم أفكارِهم، واحترام أفكارِ الآخرين ومناقشتِها، وإعادة النظر فيها في ضوءِ معايير مُحدَّدة. (العيسوي، 2005: 98)

وإذا عاش الطفلُ حياتَه في بيئةٍ تقتصر الحياةُ فيها على إمكانات بسيطة ولا تُشبِعُ دوافعه، فإنَّها سوف تجعله مجرد كائن مُدرك لأشياء بسيطةٍ تدور حوله، ولا تُوفر له فرص الإنتاج وتطوير المسؤوليات.

وعلى الجانب الآخر، فإنَّ الطفلَ الذي يلتحق بالـــمدرسة حاملًا معه عيوبًا في سلاسة النطق وفي ترابط الأفكار ، أو تشويهًا في الفكر والكلام؛ فإنه سوف يُعاني من سخريةِ واستهزاء زملائِه، الأمر الذي يؤثر على صحتِه النفسية وتوافقه الدراسيِّ، وأحيانًا قد يُحكَم عليه من قبل معلميه بالتأخر العقلي، ولذلك ذكر الشخص (1997) أنَّ النسبةَ العامة لانتشارِ ظاهرةِ ضعف الطَّلاقة التعبيرية تتراوح ما بين (6 و8%) من عينة الأطفال السعوديين، وهذه النسبة تزدادُ لدى الذكور أكثر منَ الإناث (كشاوي، 2006: 11).

وفي هذا الصدد أوصتْ دراسةُ (صفوت هنداوي، 2007) و (عبد الرحيم محمد، 2014) و(إيمان الغريب، 2015) بضرورة الاهتمام بتنميةِ مهارات الأداء اللغوي الإبداعي لدى المتعلمين بشكل عام وفي مختلف المراحل العمرية؛ لأنّ نُموَّ تلك المهارات لا يُساعدُ على تحقيقِ النَّجاح فقط؛ بل التفوق في المسيرة التعليمية أيضًا؛ باعتبار أنَّ أغلبَ القدرات والمهارات لا تُكتَسبُ إلاَّ عن طريقها (فرج، 2019: 3).

ولتحقيقِ ذلك ينبغي أن تكون تنميةُ الـــمهارات التعبيرية محورَ الاهتمامِ عند وَضْعِ أيّ برنامجٍ لتربيةِ الأطفالِ قبل اكتمالِ مرحلة نموهم اللغوي والعقلي، منْ خلالِ التركيزِ على عقلِ الطفل وذاتِه، وتنظيم عملية اســـتقبالِه للمعلومات ومعالجتها، لتصبحَ سهلةَ التوظيفِ، وأكثر فائدةً في بناءِ معارفِه.

وهناك طرق وأســاليبٌ مُتعددةٌ تســاعد في تنميةِ الطلاقة التعبيرية، منها: أســلوب الاســترخاء الكلامي، وطريقة الكلامِ الإيقاعي، والتغذية السمعية المُرتدَّةِ، وجميعها تُستخدَمُ في علاجِ بطءِ التفكيرِ والكلامِ.

مشكلة البحث والإجراءات:

مشكلة البحث: اللغةُ والتفكيرُ هما أساسُ تكوينِ الشخصية الإنسانيةِ، ويتأثَّران بالنموِّ، وهما نتيجة له، ولذلك فإنَّ عدمَ الاهتمام بهما لا يُؤدِّي إلى قصورٍ في عملية التَّواصل فقط؛ بل يتعدَّى ذلك إلى التأثير على الشخصيةِ وتوافقها وقدرتها على التحليلِ والإنتاجِ والإبداعِ. ونظرًا لأهميةِ هذا الجانب وأهميةِ ربطِه بعمليةِ التفكير التي تُشـــكِّلُ هدفَ التعلمِ والتعليم، ولأهمية الالتفاتِ إلى هذا الجانب الســلوكي عندَ الأطفال، ومدَى إســهامه في تطوير جميع جوانب شــخصــية الطفل، فقد تحدَّدتْ مُشكلة البحثِ في التَّساؤل الرئيس الآتي:

– ما دور الطلاقة التعبيرية في تطوير قدرات الطفل؟

وتمت الإجابة عن هذا السؤال من خلال تحقيق الأهداف الآتية:

الهدف الأول: التَّعرف على جوانبِ الطلاقة التَّعبيرية التي ينبغي الاهتمام بها في مراحلِ النُّموِّ اللغويِّ والعقلي لدى الأطفال.

الهدف الثاني: التَّعرف على الأنشـــطة التي تدعمُ نموَّ الطلاقة التعبيرية والارتقاء بها، ومدَى إمكانية تحقيق الوعي بأهميتها لدى المهتمين بتربية الطفل. وسيتمُّ التحقُّق من ذلك بدراسةِ الجوانبِ الفرعية الآتية:

1- دور القصص في تنمية طلاقة الخيال.
2- دور ألعاب الكرتون والدمى في تفتّح قدرات الطفل التعبيرية.
3- برامج الأطفال عبر الفضائيات وانعكاسها على الأنشطة التفاعلية.
4- أنشطة مسرح الطفل وإسهامها في تطوير القدرات اللغوية.
5- الأناشيد وأغاني الأطفال ودورها في تطوير القدرات التعبيرية للطفل.

أهمية البحث:

من خلال البحث في هذا الموضـوع يُمكن الخروج بنتائجَ تُسـاعد الـــمُربّينَ في الكشـفِ عن بعض جوانب الطلاقة التعبيرية، وفهمِ التَّباين الناتجِ عن اختلافِ نظريات علم النفس الـــــمعرفي في تحديدِ مراحل تطوّر هذه القدرة، وتعقّدها وتشابكها مع القدرات الـــمعرفية والعقلية الأخرى؛ ذلك لأنَّ نموَّ الطلاقة التعبيرية يُعدُّ وسيلةً جوهريةً للاتصالِ والتواصل العقلي والانفعالي والاجتماعي، ويُفيدُ هذا البحثُ الـمُهتمينَ بالتعامل مع الأطفال في مرحلةِ ما قبل المدرسةِ، حيث يُمكِّنهم من فهمِ البيئةِ التي تنمو فيها استعدادات الطفل وقدراته، وتحديد الأدوات المناسبة والبرامج الفعالة ذات العلاقة بحاجاته في هذه المرحلة، ويُفيد المختصـــين بأدب الأطفال، باعتبار أن هذا الفرع من الأدب يدرسُ الآثار الفنية التي تُصـــور الأفكارَ والأخيلةَ التي تتفق ومدارك الطفل، ولتحقيق ذلك لا بد أن يُراعي المختص الحالة النفسية للطفل.

ومن هنا، فإنَّ علينا تفحص الدراسات، والتعرفَ على ما تتضـمنه من نتائجَ، قد تكونُ ملاءمةً لظروفِ مجتمعنا، أو تُلبّي بعضَ احتياجاتِ القائمين على تربيةِ الطفلِ في الأسـرةِ والرَّوضـةِ؛ من أجلِ الارتقاء بقدراته، وتنمية خياله الإبداعي، وتوفير مُنبّهات العملية الإدراكية التي تساعد في إنتاج الأفكار، وتُسـهم في تنمية الطلاقة التعبيرية أو الاستقبالية، واللغةُ غالبًا هي التي تساعد على انطلاق الأفكار الواردة، والطلاقةُ هي الأداة غير التقليدية التي تُمكِّنُ الفردَ من إيجادِ بدائل جديدة، وتُطلق عنان خيال الطفلِ؛ ليتجاوزَ المألوفَ.

ولعلَّ التبرير المهم لطرح هذا الموضـوع هو ما يُلحَظُ من ممارسـات خاطئةٍ في أسـاليب التربية، وخاصـة في عصـر التّقنية، وانتشار الألعاب الإلكترونية، التي قد تُعيقُ نموَّ اللغةِ، وتُعرقل تطورها، وقد تعملُ على إعاقةِ بعضِ مظاهر النموِّ الأخرى، مما قد يؤدي إلى خلل في الارتقاء ببعض مستويات التعلم والتفكير، وعدم تبلورها بشكل منتظم، ولهذا فإنَّ العنايةَ بجوانب النموِّ

اللغوي وتوفير مطالبه، يُمكن أنْ يُسهمَ في تحسينِ طبيعة عملية التعلم والتعليم، والعمل من أجل التخطيط؛ لزيادة استثمار القدرات الذهنية خلال هذه المرحلة العمرية.

منهج البحث:

يُعدُّ المنهجُ التحليلي الاستقرائي – الذي يقومُ على جمعِ الحقائقِ والمعلومات، ثم مقارنتها، وتحليلها، وتفسيرها – مُناسبًا للوقوفِ على حيثياتِ ظاهرةٍ مُحددة، بهدف تحديدِ جوانب تطبيقها، ومدى تأثيرها، ثم الخروج بنتائج تُسهم في إيجادِ حلولٍ لمشكلةٍ، كالمشكلةِ المطروحة في هذا البحث. ولذلك تمَّت الاستعانةُ به؛ لغرض إزاحَةِ الغُموض عن الظاهرةِ المدروسَةِ، وتفسيرها، بالاعتمادِ على نتائج بعض الدراسات والأسس النظرية في هذا المجال.

مفاهيم البحث ومُنطلقاته النظرية:

الطلاقة Fluency:

الطلاقة في اللغة العربية:

أطال المعجميون الكلامَ حول معنى الجذر الثلاثي (طلق) وما يُشتقُّ منه، ويُمكنُ تلخيص كلامهم فيما يأتي: (الأزهري، 2001: 9/ 18)، (ابن فارس، 1979: 3/ 421)، (ابن منظور، بيروت: 10/ 255)

- طَلُقت المرأة: تحلَّلت من قيدِ الزواج.
- طَلُق الأسيرُ: تحرَّر من قيدِه.
- طَلُق وجهُه: تهلَّلَ وأشْرقَ وبَشَّ.
- طَلُقَ لسانُه: تكلَّمَ منْ غيرِ تعثُّرٍ.

وهذه المعاني وغيرها تدلُّ على أنَّ الطلاقةَ تحملُ معنى التحلُّلِ والإرْسالِ والتَّحرُّرِ منْ قيْدٍ مّا.

الطلاقة في الاصطلاح:

اهتمَّ بتعريفِ هذا المفهوم بعضُ علماءِ النفس، منهم جيلفورد (1959) Guilford الذي عرَّفها بأنها: «القدرة على سرعةِ إنتاج أكبر عددٍ من الأفكارِ في موقفٍ مُعينٍ»، أما تورانس (1962) Torrance، فيرى أنها: «قدرة الفردِ على توليدِ عددٍ كبيرٍ منَ البدائل أو المترادفات أو الأفكار أو المشكلات والاستعمالات عند الاستجابة لمثيرٍ مُعيَّنٍ، والسعة والسهولة في توليدها» (عبد العزيز، 2012: 436).

أمَّا السرور، فيرى أنها «القدرة على إنتاجِ بعضِ الأفكارِ الجديدة، سواء اللفظية أو غير اللفظية لسؤالٍ مّا، أو مشكلةٍ مّا، في وحدةٍ زمنيةٍ ثابتةٍ، مع سهولةِ وسرعةِ استدعاءِ هذه الأفكار» (السرور، 2002: 119).

ويُعرِّفُها أبو الشامات بأنَّها «القدرة علي استدعاءِ أكبر عددٍ مُمكنٍ منَ الاستجابات المناسبة تجاه مشكلةٍ، أو مُثيرٍ مُعينٍ، وذلكَ في فترةٍ زمنيَّةٍ مُحدَّدة» (أبو الشامات، 2008: 33).

في حين عرَّفها أبو جادو ونوفل بأنَّها: «القدرة على إنشاءِ أو توليدِ عددٍ كبير من الأفكارِ والحلول للمشكلاتِ التي تُؤدي إلى الفهْمِ الجيد للمعلومات التي تعلَّمها الفرد، وتتميَّزُ بإنتاجِ عددٍ كبيرٍ منَ الأفكارِ والتصورات في فترة زمنية محددة» (أبو جادو ونوفل، 2010: 159).

وبالتمعّن في هذه التعريفات نجد أن بعضَها يؤخَذُ عليه إقحام كلمة (توليد) –وهي على صيغة (تفعيل) تُفيدُ المبالغةَ في الولادة– في التعريف، وهي تتناقضُ معَ المفهومِ الذي يتَّكأُ على السُّهولَةِ والسُّرعةِ في صياغَةِ البدائلِ والمفرداتِ، ويُعاب على بعضها تَقْييدهُ الزَّمنَ بفترةٍ مُحدَّدةٍ. ونجد أنَّ بعضَها يتميزُ بجعلِ الأفكار لفظية وغير لفظيةٍ، والتركيزِ على السُّهولَةِ والسُّرعةِ في اسْتدعاءِ المعاني والألفاظ. ولذلك نرى أن تعريف أبي الشَّامات – مع بعض التحفظ على جزء منه– أقرب إلى المفهوم؛ لأنه ذكَرَ (القدرة) وهي صفة لا بد من وجودها في الطلاقة، وذكرَ (الاستدعاء) وهو عملية ذهنية تُخرِجُ المعاني والأفكار من الذهن إلى الخارج عن طريق الألفاظ التي تتسابق أثناء خروجها، وجعل (الاستجابات) المناسبة تجاه مشكلةٍ، أو مُثيرٍ مُعينٍ سببًا للطلاقة، ومكونًا للمعاني المكنونة في الذهن، ثم ترجمتها إلى ألفاظ، وكل ذلك في زمن سريع، إلا أننا لا نوافقُه في تقييده الزمن بالتحديد.

الطَّلاقة التعبيرية Expressional Fluency:

الطلاقة التعبيرية تعني قدرة الطفل على التعبير عن الأفكار والمعاني، وسهولة صياغتها في كلمات، أو صور للتعبير عنها، بطريقة تكون فيها متصلة بغيرها وملاءمة لها.

وهنا يبدو الفرق واضحًا بين الطلاقة الفكرية والطلاقة التعبيرية، فالطلاقةُ الفكريةُ تُركِّزُ على كم الأفكار، أما الطلاقة التعبيرية، فتُركِّزُ على نوع هذه الأفكار وأسلوب صياغتها (سعدون، 2014: 454).

ويرى النجدي وآخرون (2005) أنها تعني: «قدرة الطفل على إنتاج كلمات تتوفر فيها شروط معينة، وليس للمعنى دور مهم فيها»، في حين يرى عبد العزيز (2009) بأنها «سرعة الفرد في تقديم الألفاظ أو الكلمات أو المترادفات أو نقائضها، وتوليدها في نسق معين» (عبد العزيز، 2012: 439). ويُؤخَذ على هذا التعرف أنه ركّز على الألفاظ، وأهمل المعاني.

وتوضح بعض الدراسات أن الطلاقة التعبيرية هي: «كلَ نتاجِ الطفل من التعبيرات والأساليب اللغوية التي تنتج من تلقي هؤلاء الأطفال للقصصِ وبعضِ الوسائل الأخرى الهادفة، التي تنمي لغتهم، وأساليب تعاملهم قبل التحاقهم بالمدرسة» (زيتون، 1987: 22).

وحاصل التعريفات أنَّ الطلاقةَ التعبيريةَ تُركّزُ على إنتاجِ أكبر عددٍ من الأفكار أو الجمل؛ استجابةً لموقف مّا في أسرع وقت ممكن، فهي تُبين ضرورة الإنتاج التباعدي ضمن سياق نظامٍ من المثيرات المُتداخلة، كأنْ يُعطَى الطفلُ عددًا من الحروف، ويُطلبَ منه تشكيل أكبر عددٍ من الجمل، التي تبدأ كل كلمةٍ فيها بكلٍّ من هذه الحروف بالترتيب، ويُمكن دراسة الطلاقة التعبيرية في سياق إعادة صياغة جملةٍ مُعطاة بطرق مختلفة.

والطلاقة التعبيرية تختلف عن الطلاقة اللفظية التي تهتم بالألفاظ دون التركيز عن الفكرة أو الأفكار التي تؤديها، ومن هنا فإن مفهوم الطلاقة التعبيرية في هذا البحث له مدول أعم وأشمل من الطلاقة اللفظية؛ فالأولى تتضمن معاني القدرة على صياغة أكبر عدد ممكن من الجمل والعبارات التامة ذات المعنى، لتعبّر عن أفكار مختلفة، بعكس الثانية التي تقتصر على الألفاظ، دون الاهتمام بالأفكار.

ومفهوم الطلاقة التعبيرية يرتبط مع مفاهيم أخرى تتمثل في:

– طلاقة الأفكار Ideational Fluency: وتعني القدرة على إنتاج أكبر عدد ممكن من الأشياء ضمن تصنيف مُعينٍ، ومن الأنشطة التي تظهر فيها هذه الطلاقة أن تطلبَ من الطفل عددًا من الأشياء ذات اللون أو الملمس الواحد، أو تطلب منه أن يذكرَ أكبر عددٍ من الأشياء التي تُؤكَلُ. ويُعرفها الزيات (2006) بأنها: «القدرة على توليد أكبر عدد من الأفكار؛ استجابةً لمُثير أو موقف مّا، وهي إنتاجٌ تباعديٌّ لوحدات المعاني في أنموذج جيلفورد» (الزيات، 2006: 509).

– الطلاقة الارتباطية Associational Fluency: وتعني القدرة على سرعة إنتاج أكبر عدد من الكلمات التي تُعبّر عن علاقات معينة، وتتطلب ذِكْرَ أكبر عددٍ مُمكنٍ من الأشياء التي تتصف بخصائص معينة قابلة للمقارنة، ويمكن الإشارة إليها باعتبارها نتاجًا تباعديًّا لعلاقات المعاني، ومن الأمثلة على ذلك وضع قائمة بأكبر عددٍ ممكن من الكلمات المرادفة لكلمةٍ مّا (أبوزيد، 2006: 122)، (أبو جادو، 2004: 30).

وهناك أنواع أخرى للطلاقة، منها الطلاقة الشكلية التي تتعلق بقدرات الرسم السريع وتخيل الأشكال، والطلاقة العددية التي تهتم باستنتاجِ الأرقام والأعداد أو المعادلات.

مرحلة الطفولة:

التعريف الاصطلاحي للطفولة له عدة اعتبارات ينبغي مراعاتها عند حدِّهِ، كاعتبار النواحي الجسمية، والنفسية، والقانونية، والدينية، وغيرها، ولكن الذي يعنينا هنا المرحلة النمائية التربوية، التي تهدف إلى تحقيقِ النمو الشَّامل والمتكامل بين النواحي الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية، وتعمل على تهيئة الفرد؛ للتوافق مع متطلبات الحياة، من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية، وما تقدمه من أنشطة وبرامج تتلاءم مع متطلبات النمو في تلك المرحلة، وتُسهم في إشباع الحاجات الأساسية.

التحقق من أهداف البحث:

يُمكن الإجابة عن التساؤل الرَّئيس –في هذا البحث– وبلوغ الأهداف المرجو تحقيقها، من خلالِ تحليل ما ورد في نتائج بعض الدراسات السابقة وتلخيصها، والبحث عن خصائص هذا المتغير وأساليب تنميته، يتمُّ وفق الآتي:

الهدف الأول– التعرف على جوانب الطلاقة التعبيرية التي ينبغي الاهتمام بها في مرحلة الطفولة:

يُقصَد بالطلاقة التعبيرية قدرة الطّفل على استدعاءِ أكبر قدرٍ مُمكن من الاستجابات تجاه مشكلة أو مثير مّا في فترة زمنية سريعة.

والطلاقة التي يُعنى بتنميتها لدى الطفل تتَّسمُ بالكثير منَ الدِّقة، وهي بحاجة إلي وعيٍ وفهم وتدريبٍ وممارسة فعَّالةٍ، ويتطلب قبل ذلك وجود النضج المُناسب، والأمن النفسي الذي يُهيئ الطفل لاكتسابها وتعلّمها وممارستها، فعن طريقِها يتمُّ تزويد الطفل بما يحتاجه من أنماط وتراكيب لغوية، تتلاءم مع مستواه العمري والعقلي، وقد أصبحت تنمية الطلاقة التعبيريّة هدفًا مهمًا، بدأً من مرحلة ما قبل المدرسة (أبو الشامات، 33).

وبما أنَّ الطلاقةَ هي القدرة على إنتاج أكبر قدرٍ من الأفكار التي تتناسب مع المُثير، ولأنَّ الدين الإسلامي الحنيف يحثُّ في مواضع كثيرةٍ على التَّفكِير والتَّفكُّر – اللذان لا يحدثان إلّا بلُغَة منطوقة يفهمها الطرافان المتفاعلان – الأمرُ الذي يجعل تعلّم اللغة وتدريب الطفل على توظيفها في التفكير وتنمية مهاراتها استحقاقٌ وحاجةٌ ضروريّةٌ لكلِّ طفلٍ، ويدلّنا على ذلك أنَّ القرآن الكريم والسنةَ النبويةَ حثَّتْ على التدريبِ على ممارسة التفكير، لقوله تَعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: 219] ، وقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21]، ووردَ أن الرَّسول ﷺ اهتمَّ بالعقلِ وتَنميته، عندما قال: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ» (أخرجه ابن ماجه1/ 81، رقم: 224، وابن عبد البر في جامع بيان العلم 7/ 1، والبيهقي في شعب الإيمان 254/2، رقم 1665). وتُبيّن كثير من المصادر حرص الإسلام على احترامِ عقل الإنسان وإن كانَ طفلاً؛ ذلك لأننا مميّزين عند الله عن سائر مَخلوقات الكَون بنعمةِ العقل.

أوضحت نتائج بعض الدراسات أنه يصعب الفصل بين النمو العقلي والنمو اللغوي في مرحلة الطفولة الوسطى؛ لأنَّ النمو اللغويَّ يُعد مظهرًا من مظاهرِ النمو العقلي، وكلاهما يتأثر بعاملين هما: النضج والتعلم، أمَّا مفاهيم الطفل عن الأشياء، فهي تأتي تبعًا للخبرات التي يمرّ بها في حياته، حيث تكون مفاهيمه في البداية قليلة ومحددة، ثم تزدادُ مع تعددِ تجاربه، وأثناء هذه التجارب والخبرات يربط الطفل بين الأشياء ورموزها الصوتية (أبو معال، 2006: 88– 90).

ومن هنا، فإن دور الـــمُربِّي في هذه المرحلة التركيزُ أولًا على مهَارة الطَّلاقة التي تعني تعدّد المفاهيم والأفكار، فهي تهتم بالكمّ الذي ينتجه الطفل، وهنا ينبغي التركيز على قبول أفْكار الطِّفْل ومفاهيمه جميعها، وإن كانت مُتشـــابهة، وبعد تَفتُّح ذهن الطفل واتِّساع قدراته، تنهالُ عليه الأفكار الكثيرة، ولذا يحرصُ الـــمربِّي على توجيه الطفل إلى إدراكِ الأفكار المتشابهة وفهمها، ويفكّر في أمورٍ أخرى متنوّعة ومختلفة من حيث الكَيف؛ ليتعلمَ بذلك مرونةَ التفكير، وهي المهارة الثانية، وبعد إتْقانِ الطِّفْل للمهارةِ الثَّانية، ينتقل المربِّي ليركِّز على الأفكار الجَديدة والنَّادرة، الَّتي لا يصِـــل إليْها العقلُ بســـهولةٍ، وهي ما تُسمَّى بالأصالة، فكلُّ مهارةٍ تَحتاج إلى فترةٍ من الزّمن، وتختلف من حالة إلى أخرى، حسب قدرات الطفل ودوافعه وحاجاته وميوله.

ومما ينبغي الاهتمام به في مظاهر النمو اللغوي خلال هذه المرحلة الآتي:

– طلاقة الرموز أو طلاقة الكلمات: وهي قدرة الفرد على استخدام كلماتٍ تنتهي أو تبدأ بحرفٍ معين، أو مقطعٍ معين، أو تقديم كلماتٍ على وزنٍ معينٍ، باعتبار أن الكلمات تكويناتٌ عقلية، ونختار له الكلمات التي صارت شائعةً في مجتمعه، وقد لا يعرف الطفل معناها، مثل: اذكُرْ أكبر عددٍ ممكن من الكلمات على وزنِ كلمةِ "حرب" أو كلمة "سلاح".

– غزارة المعاني والأفكار: وتتمثل في قدرة الطفل على إعطاء أكبر عدد ممكن من الأفكار المرتبطة بموقف معين واضـــح ومُدرَك بالنسبة إليه، كأنْ نطلبَ منه إعطاءَ إجاباتٍ صحيحة للسؤال الآتي: ماذا يحدث لو وقعت حرب في منطقتك؟ وماذا ستفعل إذا انتشر مرض مُعْدٍ في بلدك؟

– سرعة الصياغة وصحتها: ويعني إصدار أفكار متعدّدة في موقف محدّد، شريطة أن تتصف هذه الأفكار بالثراء والتنوع والغزارة والندرة، فبعد أن يعرفَ مثلًا منْ خلالِ القصص أو الأنشطة المسرحية معنى كلمة "وباء" أو "نُزوح" يُمكنه أن يقومَ بصياغةِ جُملٍ تتضمَّن هذه الكلمات في موضعها الصحيح.

– طلاقة التداعي: وتتجســـد في قدرة الفرد على اســـتخدام عددٍ كبيرٍ منَ الألفاظ، تتوافر فيها شـــروط معينة من حيث المعنى، ويُحدَّد فيها الزّمن أحيانًا (إبيري، 2001: 66).

وفي سياق الهدف الأول توصلت دراسة الأمين (2020) –التي كان هدفُها التعرُّفَ على أثر برنامجٍ قائم على اللعب التربوي في تنمية الطلاقة التعبيرية على عينةٍ من أطفال الروضة بمدينة مصراتة– إلى أنَّ الدور الفعال والإيجابيَّ للمُربِّي هو الذي يركِّز على مهَارة (الطَّلاقة)، من خلال الحرص على تقبل أفْكار الطِّفْل جميعها، وإن كانت مُتشـــابهة، والعمل على "تفتُّح" ذهن الطفل وزيادة إمكاناته لاستخدام أفكار كثيرة، من خلال الأنشطة والألعاب التي يشارك فيها، وكذلك حرص المعلم على توجيه تلك الأفكار، وخاصة المتشابهة منها، وتشجيعه على توظيف أفكاره في أمور متنوّعة ومختلفة، فيتعلم بذلك مرونة التفكير، وهي المهارة الثانية بعد مهارة الطلاقة، وبعد إتْقان الطِّفْل للمهارة الثَّانية، ينتقل المربِّي ليركِّز على الأفكار الجَديدة

والنَّادرة، الَّتي لا يصِل إليْها العقل بسهولة، وهي التي تُسمَّى بالأصالة، وغالبًا فإنَّ كلَّ مهارة تَحتاجُ لمدَّةٍ تتراوح بين شَهرين وثلاثة أشهُر – تقريبًا – ليُتقنها الطفل العادي (الأمين، 2020: 30).

أمَّا دراســـةُ بن يونس (2018) –التي كانت تهدفُ إلى التعرفِ على العلاقة بين الطلاقة اللفظية للطفل وتفاعله الاجتماعي، والكشف عن مدى إسهام هذا المتغير في التأثير على التفاعل الاجتماعي للطفل– فقد توصَّلت إلى أنَّ الطلاقةَ اللفظيةَ تتميزُ بقوةٍ عاليةٍ في التأثير على زيادة تحسينِ التفاعلِ الاجتماعي، وتُعد عاملًا منبئًا ومؤثرًا فيه، وبيَّنت أيضًا أنَّ هناك فروقًا لصالحِ عينة الإناثِ في الطلاقة اللفظية بشكلٍ عام (بن يونس، 2018: 65).

الهدف الثاني – التعرُّف على الأنشطة التي تدعم نموَّ الطلاقةِ التعبيرية والارتقاء بها، ومدى إمكانية تحقيقِ الوعي بأهميتِها لدَى المهتمين بمرحلة ما قبل المدرسة:

وللتعرف على دور بعض الأنشطة في تدعيم طلاقة الطفل التعبيرية، تمَّ تقسيمُها على الأهداف الفرعية الآتية:

1– دور كتب الأطفال في تنمية طلاقة الخيال:

وتكمنُ أهمية كتب الأطفال في أنها تُعوِّدُ الطفلَ على التأمُّلِ والتفكير الجيد، وطرح الأسئلة التي تعود عليه بالفائدة. ويمكن تقسيم هذه الكتب إلى: الكتب القصصية – الكتب التعلمية – كتب الدواوين الشعرية والأناشيد – كتب الألعاب.

والكتب في عمومها تُساعد الأطفال في الآتي:

- دعم معجمهم اللغوي.
- تساعدهم على سرعة القراءة، وبخاصة المصحوبة بالصورة.
- تنمي خيالهم، وهو ما يكون دافعًا للطلاقة التعبيرية.
- تزودهم بالحقائق العلمية؛ مما يُسهل عليهم نطق هذه الحقائق دون تلكُّؤٍ.
- تُنمي فيهم الإبداع والتذوق الأدبي.

تعريف القصة: «هي نسيج أدبي إبداعي، أداته اللغة، ويتضمن حَدثًا أو مجموعةَ حوادث، لها بداية ونهاية، يتم بناؤها وَفْقَ أسسٍ أدبيةٍ محددة» (العبيدي، 2003).

وتُعدُّ قصصُ الخيالِ العنصر الأساس والفعال في منظومة التفكير والنشاط العقلي؛ لأن الخيال يتفاعل مع الذكاء العام الذي يهتم بالتفكير، وقد يُفضي إلى فعلٍ إبداعيٍ مُنفتحًا على الخبرة، مما يجعل الأفاق المفتوحة بعيدة عن التقليدية، ويُساعد على جعلِ السلوك هادفًا، منْ خلالِ تكامل العناصر المعرفية والوجدانية, وأكَّد الباحثون الرؤية التكاملية للإبداع, والتعامل معه على أنه محصلة لعدة عوامل، أهمها الخيال والذكاء, حيث يُكوّن الخيال مع الذكاء طريقًا يُوصل إلى الإبداع، إذ توصلت

بعض الدراسات إلى أن العملَ الإبداعيَّ يحدث بنوعين من التواصل: الأول خيالي، والآخر منطقي تقييمي، واتضح أيضًا أنَّ هناك عدةَ مستوياتٍ للخيال في العمل الإبداعي، تبدأ من البساطة والمباشرة إلى التركيب والتعقيد (صبري ومحمود، 2015: 121- 123).

وقصصُ الخيال أداة مهمة لتحقيق نمو طلاقة الطفل؛ لأن الخيالَ ملازمٌ للطفل، وهو من خصائص الطفولة، والاهتمام به من الأمور البالغة الأهمية، ويتم ذلك بانتقاء القصص التي تجعل العقل ينشط ويفكر، وهنا يمكن استحضار قوله تعالى: ﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الأعراف: 176] ، فهذه الآية جاءت بفعلِ الأمر، والنتيجة هي التفكّر، فالقصص بالنسبة للأطفال كالغذاء الذي ينبغي أن يحتوي على جميع العناصر الأساسية للنمو السليم؛ لأن القصة غذاءٌ للعقل والخيال والذوق، فهي تسمحُ للطفلِ بأن يلتقي بشخصيات، ربَّما تُشبِهُه أو تختلف عنه، وأحداثُها قد تجعلُه يتجول في عصورٍ غابرةٍ وأمكنةٍ بعيدةٍ، ليتجاوزَ حاضرَهُ، ويُفكِّرَ في ماضيه ومستقبله، فالقصة ليست مجرد أحداثٍ خرافية؛ بل ينبغي أن تكون واقعيةً، وتنطوي على مضامين إيجابية تثير اهتمام الطفل ببعض ما يُحيطُ به من مواقف، وتُمكِّنُه من الإسهامِ فيها بشكل نشط، وبذلك تكون بذرةً في تجهيزِ عقلِه للعمل من أجلِ الابتكار، ويتقبل طفل مرحلة ما قبل المدرسة القصص بمختلف أشكالها الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وما يُصاحبها من مظاهر وجدانية تنتج من تفاعلهم مع تلك الأحداث. والقصص أنواع، أهمها:

– القصص الدينية: وهي التي تستمد أحداثها وشخصياتها من الكتب الدينية والتاريخية وكتب السيرة، فهي تُصوِّرُ حادثةً معينةً، كالفتوحات وغزوات الرسول ﷺ، وسير الصحابة وبطولاتهم الجهادية، وقيمهم في المواقف المختلفة، وهي من أكثرِ قصص الأطفال تداولًا في المكتبات، وأكثرها تأثيرًا في وجدانِ الطفل ومعارفه وأفكاره القيمية، وتزيد من مفاهيمه اللغوية، وتُقوي طلاقته التعبيرية، وتَظهَرُ آثارَها على ذكاء الطفل وتفكيره، من خلال ما يشاهده من سلوك وعبادات وطقوس قد لا يفهم معناها في بداية نشأته.

– القصص التاريخية: وهي التي تستمد وقائعها وشخصياتها وحوادثها من التاريخ، كالقصص التي تهتم بالشخصيات الوطنية، فهي تُثرِي قدراتِه، وتثير اهتماماته، وتُداعِبُ مشاعرهُ المُرهفة الرقيقة، خاصة إذا كانت مواقفها سهلة.

– قصص البطولة: وهي قصص يعتمدُ فيها البطلُ على قوَّتِه البدنية، وبعضها يستخدمُ فيها البطل السلاح، كقصة عنترة وغيرها، وبعضها لا يستخدم البطلُ سلاحًا، كقصص طرزان، وسوبرمان وغيرها.

– قصص المغامرات: وهي التي تُقدِّمُ أحداثًا واقعيةً، ويمثلُها قصص الكشوف الجغرافية للأرض والبحار، والقصص التي يقوم بها الرحالة، فالطفل يلتقط منها ألفاظًا وتراكيب تساعده على سهولة النطق، وانهيال الألفاظ.

– قصص الحيوانات: وهي تستمد أحداثها منَ الخيال، فالحيواناتُ فيها تتخذ شخصيات بشرية، وتسلك مسلكها، فهي تتحدثُ كحديثه، وتلتزمُ بصفاتِه، ولكنَّ الطفلَ يتصور أفكارَها، وتُؤثر في طلاقته التعبيرية.

– قصص الخيال العلمي: وتَهتمُّ بتنميةِ الخيالِ من خلالِ سردِ القصص العلمية الخيالية للاختراعات التي تسهم في التطور، وتعمل على إيجاد حلول لمواجهة مشكلات المستقبل، فهي بذرةٌ تُجهزُ عقلَ الطفل وذكائه للاختراع والابتكار، وهذه تساعده على نطق المصطلحات العلمية.

وجميع أشكال القصص وأنواعها ينبغي العمل على مراجعتها من قبل خبراء في التربية وعلم نفس الطفل أولاً؛ وذلك للنظر في مدى صلاحيتها للأطفال حتى لا تنعكسَ على حالتِهم النفسية وقدراتهم العقلية بشكل سلبي. ومن أهم المواصفات أو الشروط التي ينبغي مراعاتها عند اختيار قصص الأطفال الآتي:

– مراعاة معجم الطفل اللغوي.

– الابتعاد عن المعاني المجردة التي تفوق عقل الطفل المتلقي.

– اختيار العبارات القصيرة التي يفهمها الطفل.

– الابتعاد عن الصور والمحسنات البديعية، لأنها تفوق ذهن المتلقي.

– عدم استخدام كلمات عاميّة أو أجنبية.

– أن تعتمد قصص الأطفال أسلوب الحوار، الذي يزيد من انتباه الطفل وتركيزه ويجعله أكثر استمتاعًا بأحداثها.

ويمكن تلخيص أهم فوائد القصة للطفل في الآتي:

1- تُدرِّبه على تخريج الحروف من مخارجها.

2- تُكسبه مفردات وتراكيب جديدة، ليستطيع أن يُعبِّرَ بلغتِه عن حاجاته وأفكاره ومشاعره.

3- تُعلمه التّلقي وحسن الاستماع.

4- تُظهر مواهبه ومهاراته اللغوية.

5- تُهيئه إلى إتقان الأجناس الأدبية الأخرى، كالسرد والتمثيل والكتابة القصصية.

6- تُربي ذوقه، وتُنمي قدرته على النقد.

ومن الدراسات التي اهتمت بالأنشطة القصصية دراسة صومان والعليمات (2015) التي هدفت إلى التعرف على فاعلية برنامج مقترح قائم على الأنشطة القصصية في تنمية بعض المهارات اللغوية لدى طفل الروضة في مدينة عمان، وتكونت عينة الدراسة من (45) طفلًا وطفلةً، مُوزَّعين على مجموعتين، مجموعة تجريبية، تكونت من (25) طفلًا وطفلةً، ومجموعة ضابطة تكوَّنت من (20) طفلًا وطفلةً. ولتحقيق هدف البحث صمَّم الباحثان أدوات الدراسة، المتمثلة في قائمة المهارات

اللغوية لطفل الروضة والمؤشرات السلوكية التي تدل عليها، وكذلك البرنامج التعليمي المقترح، ومقياس المهارات اللغوية لطفل الروضة. وأظهرت النتائج فروقًا دالة إحصائيًا بين أفراد المجموعتين في جميع المهارات اللغوية، لصالح المجموعة التجريبية التي درست باستخدام الأنشطة القصصية، في حين تبين عدم وجود فروق بين عينتي الذكور والإناث. وقد أوصت الدراسة بتوظيف الأنشطة القصصية في تنمية المهارات اللغوية لطفل الروضة (صومان والعليمات، 2015: 97).

وكذلك دراسة عساكر (2010) التي هدفت إلى التعرف على أثر برنامج لعب أدوار القصة في تنمية المهارات اللغوية: (الاستماع، الحديث، الطلاقة والقراءة والكتابة) لدى أطفال الروضة في مدينة القاهرة، وتكوَّنت عينة الدراسة من (50) طفلًا من الجِنْسين، وتمَّ تقسيمها إلى مجموعتين متساويتين ومتكافئتين: الأولى ضابطة والأخرى تجريبية، ثم طبق مقياس المهارات اللغوية على المجموعتين وكذلك برنامج قائم على لعب أدوار القصة لتنمية تلك المهارات لدى المجموعة التجريبية، وبعد انتهاء التطبيق قامت الباحثة بإعادة تطبيق المقياس، فكانت نتائجها وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطي درجات المجموعتين على اختبار المهارات اللغوية الآتية: الاستماع، الحديث، والطلاقة، والقراءة والكتابة، لصالح المجموعة التجريبية (عساكر، 2010).

واهتمت دراسة أحمد ومحمد (2000) بتأثير القصص في تنمية الطلاقة التعبيرية، من خلال التعرف على فاعلية القصص في تنمية المهارات التعبيرية لدى أطفال ما قبل المدرسة، وتكونت عينة الدراسة من (60) طفلًا من محافظة السّويس، واستخدمت الدراسة برنامج قصصي في تنمية المهارات التعبيرية، وطبقت اختبار مهارة القراءة، واختبار عمليات التفكير. وبيّنت النتائج أهمية دور القصص في الارتقاء بمهارة التحدث والتعبير والاستماع والقراءة لصالح المجموعة التجريبية (أحمد ومحمد، 2000).

أما دراسة الجاهلي (2004)، فقد اهتمت بأنواع الطلاقة، وذلك من خلال استخدام القصة في تنمية مهارتي الطلاقة اللغوية والشكلية لدى أطفال الفئة العمرية من (5- 6) سنوات برياض الأطفال بمدينة عمان، واستخدمت المنهج التجريبي من خلال مجموعتين متكافئتين في المستوى الاقتصادي والاجتماعي ومتساويتين في العدد، وبينت النتائج تفوقًا في أداء المجموعة التجريبية على أداء المجموعة الضابطة في مهارتي الطلاقة اللغوية والشكلية، الأمر الذي يؤكد أهمية الأنشطة القصصية في تقدم الأطفال ونمو مهاراتهم التعبيرية، وكذلك أهمية الأنشطة التدريبية وتأثيرها على أداء الأطفال (الجاهلي، 2004).

2- دور ألعاب الكرتون والدمى والعرائس في تفتّح قدرات الطفل التعبيرية:

تهدف أفلام الكرتون إلى غرس قيم ومهارات جديدة في سلوك الطفل، وتعمل على تكوين العادات الإيجابية من خلال مَشاهدَ تُكسِبُ الطفلَ خبرات ومعارف تناسب قدراته، خاصة في سن الطفولة التي تنعم بالاستعداد لاستقبال المعرفة،

وتحتوي الرسوم والألعاب المتحركة على الحكايات التي تعمل على مساعدة الطفل على فهم طبيعة العلاقات بين الأفراد، وآداب الحديث والتعامل مع الأقران، ومن أهدافها:

أ – أنها تعمل على تشجيع الطفل وتدريبه على توظيف مهارات التفكير في تعامله مع المواقف المختلفة التي يتعرض لها.

ب – تمكنه من تعلم اللغة السليمة التي قد لا تتوفر له في المحيط الأسري.

ج – تساعده على تصحيح نطقه للكلمات، وتقويم لسانه، واستخدام الألفاظ حسب مدلولاتها، ومعرفة السياق الذي ينبغي ذكرها فيه، من خلال مواقف أُعدّت لهذه الأغراض.

د – تشبع غرائزهم وحاجاتهم النفسية، كحب الاستطلاع والأمن والانتماء، فتجعلهم يسعون لاستكشاف ما هو جديد، ومعرفة معنى الأمن والانتماء.

هـ – تغذي قدراتهم وتزودهم بأساليب التفكير المبتكرة التي تمكنهم من التصرف السليم في المواقف المختلفة.

ومن الجدير بالذكر أنَّ الطفلَ قد يتفاعل في بداية نشأته مع هذا النوع من الألعاب، وكأنها مخلوقات حيّة حقيقية، وعندما يكبر وينمو عقله بشكل أفضل فهو يميل إلى تصديق أنها مخلوق حقيقي، مع أنه يعرف حقيقة أنها مجرد دمية أو غرض، ولكن طلاقة خياله تجعله يرغب في رؤيتها مخلوقا مثيرًا للخيال؛ ولذا فهو يُفضّل أن يراها في عالمها الإبداعي الخيالي، حيث اتساع الرحلة يكون لانهائيًا. هذا الشكل من التلقي والطلاقة يُرافق الإنسان طوال حياته، ولو بشكل متفاوت بين فترة وأخرى، فهو يحب أن يستفيد من العمليةِ الإبداعية التي توسّع له أفق الحياة وخيالاتها ؛كي يبتعد عن الانغلاق والروتين؛ فمشاهدة هذه الألعاب تُشجِّع تفكيرَ الطفل على توقع ما سيحدث في مضمون القصة التي يشاهدها، وتُضفي أفكارًا أخرى على أحداثها من نسيجه القابل للانفتاح.

وبما أن هذه الألعاب تُسهم في توجيه الطفل؛ فإنه يقع على عاتق المسؤولين ضرورة فحص مضامينها ومعرفة أغراضها، لا سيما أنها تكسب الطفل المعارف والخبرات والمهارات والآداب، وهو في سن مبكرة، مما يجعل من الصعب محوها مستقبلًا.

3- برامج الأطفال عبر الفضائيات وانعكاسها على الأنشطة التفاعلية:

تُقدِّمُ قنواتُ الأطفال الفضائية برامجَ موجهة للطفل، وهي غالبًا تعكس هوية المرحلة التي يعيشها، وقد يرى فيها البعض غزوًا فكريًا؛ من خلال ما تحمله من مضامين لعصر عولمة الإعلام، ولهذا فإن هناك ضوابط سلوكية ينبغي أن يكون القائمون بشؤون تربية الطفل على وعيٍ بها؛ حتى يمكن التمييز بين ما هو نافع وما هو ضار، فبعض البرامج قد تحمل في طياتها سلبيات لا تناسب المرحلة العمرية التي ينتمي لها الطفل.

وتُعد هوية الطفل هدفٌ يحتاج إلى أن تكون له معايير ليست دخيلة على المجتمع الذي ينتمي إليه، ومتماشيًا مع القيم والعادات التي ستكون مؤثرة في حياته مستقبلًا، فالقنوات الفضائية التي يُشاهدها الطفل هي التي يرى من خلال قوالبها

العالم، وعندما يُدمن مشاهدتها فإنه سيتأثر بها وسيكون فريسة سهلة لتشرُّبِ مبادئها، وقد تُعيق كثيرًا من نشاطاتِه التفاعلية الأخرى إذا كانت متناقضة مع سلوكيات المحيطين به، وهنا يصبح الطفل ضحيةً لحلقةٍ مفرغة، وربما يعيش في تناقض وصراع مع ما يوجد في البيئة المحيطة (الحلواني، 2007: 214).

يعتمد تطور لغةِ الطفل وتفكيره على النشاطات التفاعلية التي غالبًا ما تكون معدومة مع تلك البرامج، ويُستثنَى من ذلك ما قد ينتج من خلال تقليدِ الطفل لشخصياتٍ قد يُعجَب بها في تلك البرامج، سواء كانت رياضية أو اجتماعية أو تثقيفيَّة تتجسد في سلوكه، من خلال ما يسمعه ويشاهده من الأغاني والقصص الأدبية التي تحوي مواقف حياتية، ومن خلالها يستوعب كلماتٍ قد ينبهر بها؛ كونها ترافق تصرفات وأفعال قد أُعجب بها، وقد يُردد أحيانًا كلماتٍ ومفاهيم دون أن يفهمَ معناها الحقيقي، لذلك فإن الأمر الضروري هو التركيز على ما تتضمنه هذه البرامج من خصائص إيجابية، تسهم في بناء أفكار الطفل وخياله وقدراته الكلامية، ومراعاة عدم إفراط الطفل في التعلق بها، من خلال تهيئة الوالدين لنفسيهما بأن يكونا قدوة تُكمِّلُ ما هو إيجابي، ويحرصان على توفير البدائل المناسبة بقدر المستطاع لما هو ضروري، وهذا يحتاج –أحيانًا– إلى ضرورة مشاركة الوالين لأبنائهم مشاهدة برامجهم؛ لغرض النقاش والتوضيح، والإجابة عن التساؤلات التي كثيرًا تكون عن مدلول بعض الألفاظ، وهذه المشاهدة الصحيحة هي التي ينتج عنها طلاقة فكرية وتعبيرية، تساعد في إنتاج الأفكار وتبلورها فيما هو مفيد، وهنا تظهر الحاجة إلى القنوات المتخصصة في مجال الطفولة ورعايتها من خلال ما تقدمه من برامج قائمة على استراتيجيات ينشدها المربي في المجتمع العربي والإسلامي، وتسهم في إثراء خزينة الطفل القيمية والأخلاقية والمعرفية. وفي هذا السياق نذكر القارئ بعض القنوات الفضائية التي يمكن أن يستفيدَ الطفلُ من بعض برامجها الطلاقة التعبيرية:

– قناة المجد للأطفال: أنشئت عام (2004)م، وهي قناة تهتم بالتربية الدينية والأخلاقية للطفل من خلال برامج معدة لهذا الغرض.

– قناة الجزيرة للأطفال: بدأ بثها في (2005)م وهي موجهة إلى الأطفال، وتعمل على غرس القيم النبيلة والعادات الحسنة من خلال عدد من البرامج المعدة لهذا الغرض.

– قناة طيور الجنة، وهي قناة موجهة للأطفال، تأسست عام (2008)م. وهي تعمل على تنمية القيم الإيجابية لدى الطفل وتثري ثقافة الحوار والمناقشة.

– قناة كراميش: تأسست في العام (2009)م وهي تهتم بالإنشاد التربوي، ودوره في تعزيز القيم النبيلة.

4 – أنشطة مسرح الطفل وإسهامها في تطوير القدرات اللغوية:

إنَّ لمسرح الطفل دورًا مهمًّا في تنميةِ الذكاء والخيال لدى الأطفال, ومن خلال أنشطة المسرح يصبحُ الطفل قادرًا على التعبير والتمثيل، وذلك من خلال ما يظهر لديه من مواقف، قد تساعده في إبرازِ رصيدِه اللغوي في أنشطةٍ خيالية؛ ولذلك

نجد أن الأطفال الذين يذهبون لمسرح الطفل أو يشتركون فيه بالتمثيل يتمتعون بقدرٍ من التفوق، وبدرجة عالية من الذكاء والقدرة اللغوية، وحسن التوافق الاجتماعي، كما أن لديهم قدرات إبداعية متفوقة؛ لأن مسرح الطفل يُسهم إسهامًا ملموسًا وكبيرًا في نضجِ شخصية الطفل، باعتباره وسيلة من وسائل الاتصال المؤثرة في تكوين اتجاهات الطفل وميوله وقيمه ونمط شخصيته، وعليه فمسرح الطفل التعليمي مهم جدًّا لتنمية ذكاء الطفل وطلاقة خياله.

الطفلُ في هذه السن يميلُ إلى تمثيلِ القصص التي يسمعُها، وتقليدِ الناس الذين يستغرب أو يعجب بأعمالهم وأشكالهم، فيُحاكي كلَّ ما يقع عليه نظره، أو سمعته أذنه، فكثيرا ما يقلد أصوات الحيوانات والسيارات، ويحاكي كبار السن في مشيتهم وأصواتهم (قنديل، ب.ت: 100).

في الطفولة المبكرة يعجزُ الطفل عن التمييزِ بدقةٍ بين الحقيقة والخيال، فيخلط بينهما أحيانًا، وذلك بحسب قدرته على الملاحظة والتركيز وإدراك التفاصيل، ولهذا فالطفل ينسجم مع الأنشطة المسرحية التي تدور حوله أو حول من هم في سنه، ويعيشون ظروفا شبيهة بظروفه، وفي المراحل المتقدمة يتمكن الطفل من التعامل مع أكثر من فكرة ويربط بين تلك الأفكار، ولهذا فالمسرحية المناسبة هي التي تتكون من حدثٍ بسيطٍ، ينتهي بعقدةٍ بسيطة أيضًا، شخصياتها تكون عادة لصيقة ببيئة الطفل، كالأب والأم والإخوة، وتتطور لتشمل شخصيات مألوفة، كالمعلمين والزملاء والضيوف والأصدقاء، ومن حيث الطلاقةُ التعبيرية نجد أن للمسرح فوائد، يمكن أن نوردها وَفق السياق الآتي:

- يُغذي المعجم اللغوي بمفردات جديدة.
- يُنمي القدرة على التعبير عن الآراء والانفعالات عن طريق الإلقاء، باعتباره شرطًا من الشروط التي يتدرب عليها الممثل على ركح المسرح.
- يُعالج بعض الأخطاء اللغوية التي يقع فيها الأطفال.
- يُعلِّم مواجهة الجمهور؛ فلا يتهيَّبُ الأطفال غيرهم عند النطق.
- يُعلمهم الارتجال عند اللزوم.

ولهذا، فإن النشاط المسرحي أداة لترسيخ السلوك المتعلم، بما في ذلك السلوك اللفظي الذي هو أداة للتعبير والتفكير ونقل الخبرات، فاللغة هي التي تُوجِّه الأداء، ولذلك فإن (بياجيه) يعتقد بأن المعرفة تنشأ لدى الطفل من مجموعة الأفعال التي يقوم بها في وسطه، ويرتبط اكتساب اللغة بالوظيفة الرمزية، والمتعلم يتكيف من خلال الآليات الموجودة في ذهنه مع الأنماط اللغوية الجديدة التي يتلقاها ممن يتفاعلون معه (عبد الحق، 2017: 38).

ومن الدراسات التي اهتمت بمسرح الطفل دراسة عمر (2010) التي هدفت إلى التعرف على فاعلية برنامج لتنمية بعض المهارات اللغوية للأطفال الذكور المودعين بالمؤسسات الإيوائية باستخدام مسرح الطفل في مصر، وتكونت عينة الدراسة من

جميع الذكور المودعين بتلك المؤسسات، ممن تتراوح أعمارهم بين (5 – 6) سنوات، واستخدمت الدراسة مقياس التحدث والاستماع واختبار الذكاء المصور للأطفال، وكذلك برنامج الأنشطة المسرحية، وأظهرت النتائج أن برنامج الأنشطة المسرحية يُسهم بشكلٍ كبير في تنميةِ مهارات التحدث والاستماع لدى أفراد العينة (عمر، 2010).

5 – الأناشيد وأغاني الأطفال ودورها في تطوير القدرات التعبيرية للطفل:

النشيد هو قطعة من الشعر، تُنظم في موضوع وطني أو حماسي، تنشد بصوت فردي أو جماعي، ويُترنَّم بها.

أما الأغاني فهي قطع شعرية سهلة في طريقة نظمها وفي مضامينها، تُنظم على وزن مخصوص، وتصلح لتؤدى جماعيًّا أو فرديًّا (العناني، 1990: 36).

وشعرُ الأطفال يُعدُّ إنجازًا فنيًّا أدبيًّا لا يستطيع تحقيقه إلاَّ قلة من الشعراء، نظرًا لما تتطلبه كتابته من شروط لا نكاد نجدها في سائر ضروب النظم الشعري (الحزواني، 2008: 95).

وتكمن أهمية الأغاني والأناشيد في حياة الأطفال أنها تُساعدهم على النطق الصحيح للألفاظ، وتُصحح الأخطاء اللغوية وعيوب النطق عندهم، وتُغْني معجمهم اللغوي؛ الأمر الذي يُكسبهم مفرداتٍ وتراكيب جديدة تزيد من طلاقتهم التعبيرية.

والشعر يتخذ طريقه إلى الأطفال من عدة أقسام، نذكر منها:

– الشعر الغنائي: وهو الأصل في الشعر العربي، وهذا النوع يعتمد على الإلقاء، حيث يُؤديه الأطفال – بعد التدريب عليه – بقدرٍ من الإتقان. وهو عند الأطفال يُسمَّى بـــ (النشيد) وهو قطعة شعرية صغيرة، سهلة الألفاظ والمعاني، يُلقيها الطفل إنشادًا، وهو يختلف عن الأغنية من حيث الموسيقى.

– الشعر التعليمي: وهو الذي يُزوِّدُ الأطفالَ التلاميذ بشيءٍ من المعارف والمعلومات، مثل نظم قواعد الإملاء، أو ضوابط تجويد القرآن في أبيات من الشعر؛ لتبسيط حفظها وفهمها.

فالأغاني والأناشيد مهمة في نمو خيال الطفل وتطويره، فهما يُثيران خيالَه، ويدخلان الطرب إلى نفسه، فيحفظ ما يقرأ أو يُلقَى إليه، ونظرًا لســـهولة ألفاظهما ومعانيهما، فإنهما يزيدان من القدرات اللغوية، عن طريق نطق الحروف من مخارجها الصحيحة، واكتساب مفردات ومعانٍ جديدةٍ يستطيع بها الطفل أن يُعبر عن ميوله ورغباته، ويُنمي قيمه واتجاهاته وتفكيره.

وبناءً على ما ســـبق، يمكن القول: إنَّ أي فكرة أو عمل يســـعى لتنمية قدرات الطفل وطلاقته التعبيرية لا بُدَّ أن يبدأ بمراجعة معوقات التفكير في الأدب التربوي؛ لأن تشـــخيص المشـــكلات يُعد هو الخطوة الأولى في وصـــف وتحديد العلاج المناسب، وقد رَكَّزَ هذا البحث على دورِ الأسرة والروضة والمدرسة والأنشطة التي يُمكن أنْ تُسهِمَ بجهودِها في تحقيق الرعايَةِ التَّنموية لدى الأطفال، والتغلب على بعض معوقات النمو المعرفي اللغوي والعقلي، وذلك لا يتحقق إلاَّ منْ خلالِ التأكيد على توفير الامكانات التربوية اللازمة لتنمية مهارات الطفل وفق خطط مباشرة وموجهة.

التوصيات والمقترحات:

- ضرورة توعية القائمين على تربية الطفل بمتطلبات النمو اللغوي والعقلي.
- تزويد المربين بالأساليب الفعَّالة في تنمية الطلاقة التعبيرية وتدريبهم عليها.
- توعية المربين بدور الطلاقة التعبيرية في مساعدة الطفل على فهم الواقع المحيط به.
- التوعية بدور طلاقة الطفل التعبيرية في التغلب على التحديات التي قد تواجهه.
- تدعيم المناهج بقصص تُنمي خيال الطفل، وتنشط عقله، وتعمل على إثارته.
- التوصية بأن يُثْري أدبُ الأطفال لغةَ الأطفال.
- ضرورة كتابة أدب الأطفال بلغة فصيحة سهلة؛ لأن أثمن ما يتحصل عليه الطفل في سنوات الطفولة هو لغته الأم.
- إجراء دراسات تجريبية لمعرفة أثر برامج قائمة على القصص الخيالية والألعاب والأنشطة المسرحية في تنمية طلاقة الطفل التعبيرية.

مراجع البحث:

- أبو جادو، صالح محمد. (2004)، تطبيقات عملية في تنمية التفكير، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- أبو جادو، صالح محمد و نوفل، محمد بكر. (2010)، تعليم التفكير– النظرية والتطبيق، ط3، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- أبو زيد، ياسر محمود. (2006)، أثر استخدام الألعاب التعليمية في تدريس الرياضيات على تنمية التفكير الإبداعي لدى تلاميذ الصف السادس من التعليم الأساسي بمحافظة شمال غزة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة الأزهر، غزة.
- أبو الشامات، العنود بنت سعيد. (2008)، فاعلية استخدام قصص للتعبير لتنمية التفكير الإبداعي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية ، السعودية.
- أبو معال، عبدالفتاح. (2006)، تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال في الأسرة والروضة والمدرسة، عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- إبيري، بوب، ستانش بوب. (2001)، حل المشكلات بطرق إبداعية، ترجمة عبد الناصر فخرو، عمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- أحمد، فائقة، ومحمد، إيمان. (2000) فاعلية القصص في تنمية المهارات اللغوية وبعض عمليات التفكير عند طفل ما قبل المدرسة، بحث منشور في المؤتمر العلمي الثاني، مناهج التعليم وتنمية الفكر، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، مجلد2.
- الأمين، إحسان الهمالي. (2020)، أثر برنامج قائم على الألعاب التربوية في تنمية الطلاقة التعبيرية، رسالة ماجستير غير منشورة، الأكاديمية الليبية مصراتة.
- بن يونس، رحمة عبد الله. (2018)، الإسهام النسبي للطلاقة اللفظية في التفاعل الاجتماعي لأطفال الروضة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المرقب.

– الجاهلي، جوهرة. (2004) فاعلية استخدام القصة لتنمية مهارتي الطلاقة اللغوية والشكلية لأطفال المستوى الثالث برياض الأطفال، مجلة جامعة أم القرى، (2)، مكّة المكرمة.

– الحزواني، رضوان. (2008). شعر الأطفال ماهيته وشروطه، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق: ع (44)، ص 95.

– الحلواني، مرهان محمد. (2007)، أثر التلفزيون في تنمية الخيال والمهارات الاجتماعية، مجلة دراسات الطفولة.

– الزيات، فتحي مصطفى. (2006)، الأسس المعرفية للتكوين العقلي وتجهيز المعلومات، القاهرة: دار النشر للجامعات.

– زيتون، عايش محمود. (1987)، تنمية الإبداع والتفكير الإبداعي في تدريس العلوم، عمان: جمعية المطابع التعاونية.

– السرور، ناديا هائل. (2002)، مقدمة في الإبداع، الأردن، عمان: دار وائل للنشر.

– سعدون، ريم. (2014)، استخدام أداء الأدوار في تنمية الطلاقة الإبداعية، مجلة الآداب، جامعة البعث، العدد (108)، ص ص 443: 464

– صـــبري، عبدالعظيم، ومحمود، حمدي. (2015)، تنمية القدرات الابتكارية والإبداعية عند القائد الصـــغير، المجموعة العربية للتدريب والنشر.

– صومان، أحمد والعليمات، علي. (2015) فاعلية برنامج مقترح قائم على الانشطة القصصية في تنمية بعض المهارات اللغوية لدى طفل الروضة في مدينة عمان، المجلة التربوية، 97، جامعة الكويت.

– العناني، حنان. (1990). أدب الأطفال، عمان: دار الفكر العربي،

– عبد الحق، سيواني. (2017). المسرح المدرسي وأثره في النمو اللغوي للطفل، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران.

– عبد العزيز، أحمد. (2012)، أثر برنامج الكروت المحوسبة في تنمية الطلاقة الإبداعية لدى تلاميذ المرحلة المتوسطة. مجلة جامعة تكريت، مجلد (19)، العدد (3) ص ص 424. – 501.

– عساكر، هدى. (2010) فاعلية لعب أدوار القصّة على تنمية المهارات اللغوية لدى طفل الروضة، رسالة دكتوراه، معهد الدراسات العليا للطفولة، عين شمس.

– عمر، رانيا. (2010) فاعلية برنامج لتنمية بعض المهارات اللغوية لعينة من 5 إلي 6 سنوات (الأطفال الذكور المودعين بمؤسسة الإيواء) باستخدام مسرح الطفل، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.

– العيسوي، جمال مصطفى. (2005)، فاعلية استخدام أسلوب القدح الذهني في تنمية بعض مهارات الطلاقة اللغوية وعلاج الأخطاء الإملائية لدي تلاميذ الحلقة الثانية، رسالة ماجستير دولة الإمارات.

– كشاوي، غادة محمود. (2006)، برنامج إرشادي للحد من صعوبات النطق لدى عينة من تلاميذ المرحلة الابتدائية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى.

– قنديل، أمين مرسي. (ب. ت) أصول التربية وفن التدريس. ط 4 القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والنشر.

– محمد، إبراهيم فرج. (2019)، فاعلية اســـتخدام اســـتراتيجية الإثارة العشـــوائية في تنمية بعض مهارات الطلاقة التعبيرية لدى المتعلمين بالمرحلة الإعدادية.